

فنان سوري عالي رسم كورونا قبل خمسة عشر عاماً

سبهان آدم لـ «الوطن»: ليست نبوءة وإنما قراءة تحت عنوان فساد الأمكنة بكل ما تحتويها



إسماعيل مروة

سبهان آدم فنان سوري عالمي مختلف، فهو فنان فطري متقن رؤيوي،

وصل إلى مرتبة عالية على المستوى العالمي، ولوحاته محفوظة في مختلف دول العالم، وهو فنان سوري بالمعنى الإيجابي للكلمة، فهو واضح مع من يختلف معه بالرأي، وإن اجتماعاً، وهو ناقد شرس لكل من اختار انتماء أو ارتباطاً يتعارض مع مفهومه للوطنية ولسورية، ومنذ بدأت الحرب على السوريين وسورية كان واضحاً في

انحياز، ولم يغادر سورية نهائياً، مع أن لوحاته كانت تجول العالم وتباع، ويعلن سبهان عدم انتمائه لأي نقابة أو هيئة في سورية أو سواها، ويتنقد المؤسسات الرسمية بما تمثله وما تقوم به تجاه المبدع السوري من دون مواربة أو مجاملة.

لحم خفاش رخيص كلف العالم تريليونات

المبدع والاستشراف

جانب الرؤية الإبداعية الاستشرافية، ويقف الفنان في شوارع دمشق وأنديتها يتنفس ويبعد ويرسم ويلتزم بما آمن به، وخاصة أنه زار المنطقة الشرقية ورأى وعان ما يحدث على أرض الواقع، فعاد بدافع أمومي، وآخر إبداعي أكثر إيماناً بضرورة الوقوف إلى جانب سورية الوطن، مع أنه يقول: إن المبدعين السوريين الذين وقفوا إلى جانب سوريتهم، وهم قلة، بحاجة إلى دعم مشروعهم الثقافي والفني والإبداعي، وليس بشكل إفرادي، بل يجب تخصيص رصيد لدعم الحركة الإبداعية لأنها الأهم في نظره.

الترويج لفنّه

منذ عقود وسبهان استطاع أن يحقق ترويجاً مهماً لولوحته من خلال اتباع ما تتبعه دور العرض العالمية، من شهادة اللوحة، إلى الكتب الفخمة التي يعدها مع كل معرض يقوم بتقديمه، ليكون دليلاً لفنّه وحافظاً له، بل إن كثيرين كانوا يستهجنون ما يصرّفه سبهان آدم على فنّه، ويرون أنه لا طائل منه، وكان جوابه لا يوجد أهم من الإبداع، وعلى الأجل على لوحتي بأي شيء، واليوم ومنذ عشر سنوات، وحين توقف الناس عن العمل كان سبهان من القلة القليلة، وقد أبحر الجميع بتقديم أفلام تصويرية مكلفة

وعالية المستوى الجودة في رسمه، وفي مساح كبرى ضمن سورية، لإيمانه بأن الفن لا يمكن أن يتفصل بعضه عن بعض، فاستعان بالموسيقى والضوء والصورة والجسد والمجاميع البشرية، ليقدّم بانوراما من أعماله ولوحته وموضوعاتها، لتكون هذه الأفلام هي الرسول الذي يصل إلى كل مكان في ظل حصار شديد يفرضه أعداء سورية عليها، ولا أتمنى أنني سعدت بهذه الأفلام وبفكرتها والإبهار الذي قدمه فيها، ليعبر أن الفن التشكيلي ليس لوحة صماء، وإنما جزء من كتلة فنية بصرية لونية حركية، وأن اللوحة حياة وليست زخرفة

ديكور! وفي دمشق طرحت عليه سؤالين فقط عن الرؤوس المقطوعة وكورونا فأجاب: قدمت قبل أكثر من عشرين عاماً معرضاً ضمّ لوحات من الرؤوس المقطوعة إحياءً إلى ما جرى على الأرض السورية من الجماعات الإرهابية تجاه الإنسان السوري، واخترت هذه الصيغة اعتماداً على قراءتي للتاريخ بوعي، ورؤيتي بأن التاريخ ملوّء بمثل هذه الحوادث القائمة على القتل وقطع الرؤوس، ولم أكتف بالإشارة إلى القيمة الدينية والتاريخية، بل عدت إلى قراءتها كحركة متواصلة في التاريخ، فطلما أن الفكر لم يتحرر، فإن الطريقة السائدة في الإلغاء

والإقصاء والتهميش والقتل ستكون ذاتها. وقد لفتت لوحاتي المتعلقة بالإنسان والرأس المقطوع أنظار النقاد وتناولوها، لأنها كانت نبوءة وغريبة عن الجو الفني العام، لكن قراءة الفنان وإحساسه جعلني أخالف السائد وأرسم هذه اللوحات التي تحولت بعد ٢٠١١ إلى جزء من حياتنا، وشكلت توثيقاً للذاكرة السورية والعالمية.

هنالك لوحات قدمتها قبل خمسة عشر عاماً، وتعدّ بالعشرات، وجميعها يأخذ شكل الإنسان اليوم في ظل كورونا، التعقيم، الكمامة ما سر هذه اللوحات؟ أرسّم بشكل عفوي، ويعقب سياسي لما أراه، ومن هنا توالى هذه الصور، والحث على مخالفتي البصرية حتى حولتها إلى لوحات وفي معارض عديدة، ومع أن هذه اللوحات لقيت صدى طيباً إلا أن كثيرين استهجنوا رؤيتها في تلك الفترة، وعدوا هذه اللوحات من قبيل فانتازيا اللون والفكر، واليوم صرنا نجد الناس يتحولون حولنا وأماننا ومعنا في العالم أجمع دون استثناء أي دولة، وعلى الصورة التي جاءت إلى مخيلتي وتذكر أنني قلت منذ عدة سنوات عندما تحاورنا بانني معني بما يعيشه العالم، وقد أطلقت على هذه الفكرة قرعة (فساد الأمكنة) فيرويتي الفنية والفكرية، وأنا رسام راديكالي متطرف للحق، لا أدخل في السائد

فكرياً وفنياً، ومستقل عن أي منظومة، وأبقي ابناً للبلد وما يعيشه ويحياه.. لذلك عندما أنحت على فكرة فساد الأمكنة، وأنا أرقب العالم من شرفتي أو شرفة المقهى في دمشق التي لم أغيرها قمت بنقل الفكرة إلى اللوحة فكانت مجموعة كبيرة من اللوحات وكلها تمثل

إنسان اليوم ولهع من كورونا. وربما لاحظت أن بعض اللوحات ليست لبشر، وهذا يعزّز انطلاقي من هاجس فكري، ففساد الأمكنة عندي وفي ذلك الوقت البعيد يقصد فساد العقل والروح والنفس وكل ما يترتب عن ذلك من سياسة وثقافة وفكر، وبالتالي هذا الفساد يعكس على مفردات الطبيعة التي لم تحسن إليها، وإنما وضعناها في دائرة الفساد والخطر.

سبهان آدم يجلس متأملاً بفنونه، ولكنه يطرح دوماً قضايا مهمة سواء في لوحاته أم في أفكاره أو مقولاته، وهو يحمل تقدراً قد يكون قاسياً نوعاً ما تجاه الجهات الوصائية التي لم تحضن المبدعين السوريين - كما يرى - بالشكل اللائق، لأنه يرى أن الإبداع هو الحصن الأهم لإيقاظ البشرية من أشياء عديدة، فالثقافة والفكر يمكن أن يرقيا بالعقول ويبعثا عن العنف والإرهاب وقطع الرؤوس، لتتحول اللوحة والفكرة إلى العناصر الجمالية الدالة.

والإبداع يرفي بالإنسان، ويجعله حريصاً على الحياة والمكان وجميع عناصر الحياة الجميلة، فالأمكنة لا تقصد وحدها، وإنما يكون فسادها من فساد الإنسان وأطعاه بكل شكل من الأشكال، وهو ما يسبب الحروب المدمرة غير المرئية.

«أقاويل لغوية معاصرة»

في خدمة اللغة العربية بعيداً عن الأهواء والآراء ووساوس النفس البشرية

اللغويين والباحثين من منع تعديته بحرف الجر «من» وتخطئة ذلك فيما يريد من استعمال الناس نحو: تحقق من نجاحه، ودين أولئك المانعين والمخطئين في الحظر والتخطئة يمتد إلى أزيد من ثمانين سنة.

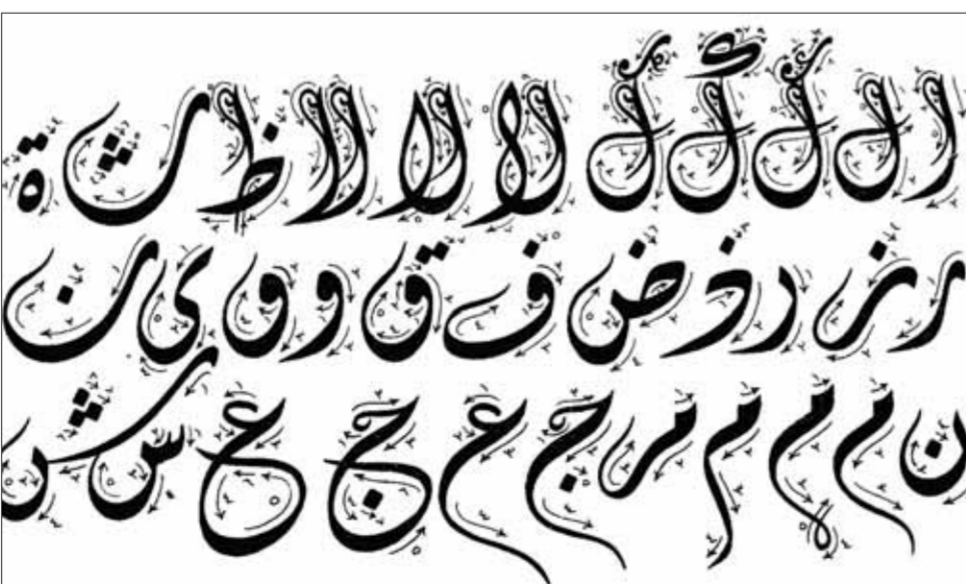
والسبب الرئيسي القضية الرئيسية من وجوه التعبير المألوفة في زماننا منذ عقود الوصف بـ«الرئيسي» و«الأسمر الرئيسي» و«القضية الرئيسية» وهما وصفان منسوبان إلى «الرئيس»، وقد أكرر ذلك كثير من الباحثين والمشتغلين بالتصحيح اللغوي وجعلوا يغفلون ذلك وينهون عنه.

و«كعاداته أو كما اعتاده» حيث من مألوف تعبير الناس في زماننا استعمال شئ الجملة «كعاداته» أو «كما اعتاده» في نحو: «دخل المعلم الصف وحيا الطلاب كعاداته» أو «كما اعتاده»، وهو على ظاهره استعمال سائغ، تكون فيه شبه الجملة متعلقة بصفة أو بحال محدثة.

وكان الناس منذ عقود وما يزالون يستعملون «كم» التكريرية في مقام التعجب والمبالغة في بيان الرأي من شيء استحساناً أو استهجاناً، فيقولون مثلاً: كم هو جميل! وكم أنت بخيل!.

وعد د. محمد جمال صقر قول الناس في زماننا: «مجرد رأي» مما عرفته العربية حديثاً، وأثر أن يعقد بينه وبين اللغة الإنكليزية صلة ونسباً على توجيهه على إضافة الصفة إلى الموصوف، فقال: «ولكنني أؤثر على تكلف التوجيهات أن أدعي لك أنه لم يكن لهذا التركيب أن يتوسع فيه ويشتهر ويتشتر لولا ترجمة قول الإنكليز just an opinion، بـ«مجرد رأي».

وبين المؤلف التصحيح اللغوي بين «تأسست المدرسة» و«تأسس المعهد» و«انشغل به عنه» و«شكك». وتوصل المؤلف في النهاية إلى مجموعة نتائج: أن التصدي اللغوي اللغوية والاشتغال بالتصحيح صنعة دقيقة، وأن معاجم العربية لم تستوعب كل ما تكلم به العرب القدماء واستعملوه من الألفاظ العربية وتراكيبها، والحكم على بعض ما يجري على ألسنة الناس من ألفاظ لغوية، خلق في غير زمن الاحتجاج، واقتصر مطلقاً العربية أو بعضها على وجه من وجوه أو أكثر من وجوه الاستعمال على إطلاقه دليل على صحة الوارد فيها ووضاحتها وسماحه.



مسائل لغوية وتراكيب درج استعمالها ومنها: «أحد شعراء العصر» حيث تحفظ د. إبراهيم السامرائي في بعض كلامه على استعمال كلمة «أحد» في قول القائل: «الأخطل أحد أبرز شعراء الأموي» وعقب عليه بقوله: «لو قال المحرر: الأخطل من أبرز شعراء العصر الأموي، لاحترام ما درج عليه أهل العربية، أن «من» الجارة تؤدي المراد، وأما قول المحرر فهو من الأساليب القبيح وتصحيحه، ففي ذلك كما لا يخفى رد الأشياء إلى سكتها، وترميم بعض أجزاء الحقيقة ترميماً يساعداً في احترامها. وفي خدمة اللغة العربية خدمة يكون للعالم فيها راية عالية، بعيداً عن الأهواء والآراء ووساوس النفس البشرية.

وهذه بعض تلك «الأقاويل اللغوية المعاصرة» وما بدا فيها بالذليل والبيته، موصولة بما اتصلت به من تراكيب وأساليب رتب ترتيباً هجائياً بحسب صيورها «أوالكها» ومن ألفاظ رتب بحسب اشتقاقها.

البحوث

يحتوي الكتيب على عشرة بحوث تتعرض جميعها



التطور الحادثة، لضبطها من فوضى الانفلات، وردها إلى جادة النظام اللغوي المنضبط. وتبدو لك صنائع القوم في ذلك أهاجي يثربون فيها الخطأ ويبدون عواره، وأمامهم يحتفلون فيها بالصواب ويتوهون به مرهمهم في ذلك المساهمة في تطهير اللغة المستعملة السائدة من وجوه الفساد الشائعة.

ومثل ذلك عند التحقيق يصف في باب «الأقاويل» بأنها آراء ليس لها سمة العلم الصحيح المؤكد، ولم تؤسس على منهج علمي محكم تضمنن إليه النفس فهي لا تمت إلى الحقيقة بصلة قوية ولا تعبر عنها.

إيمان بركات

تناول د. عبد الناصر إسماعيل عساف في الكتيب الصادر عن الهيئة العامة السورية للكتاب بعنوان «أقاويل لغوية معاصرة» ما قاله بعض المعاصرين في بعض الألفاظ والأساليب والتراكيب التي يستعملها الناس من «أقاويل» لم تأخذ بعرا الحقيقة، إذ لم تستند إلى ما تضمنت النفس إليه من دليل قاطع أو بيته صحيحة، ولم تبين على منهج علمي مسدد، فكان فيها ما كان من تغليب الصحيح الصحيح، أو الحكم على بعض ذلك بما قد يفضي إلى التخطئة، لبيان عوار ذلك الأقاويل بالدليل والبيته، ووضع تلك الألفاظ والأساليب والتراكيب التي غلطها المعاصرون أو سموها بما قد يفضي إلى التخطئة في موضعها المناسب، وذلك بعض ما ينبغي لترميم بعض أجزاء الحقيقة، وموازرة المنهج، وخدمة اللغة العربية واحترام العقل، وبهذه قد تكتمل صورة يحب لها بعض الناس أن تكتمل وتقع من النفس موقع الاستحسان.

كان مما خدم المعاصرون به اللغة العربية في زماننا أن نظروا فيما جرى ويجري على ألسنة المعاصرين والحدثين من أساليب التعبير ووجوه القول، يردصون ما فيها من انزياح عن النمط المأثور المألوف في الدلالة والبيته والتراكيب والأسلوب، وينهون على ما كان من ذلك مخالفاً لما وفر في أنفسهم أو تردد في كتب اللغة العربية من وجوه الاستعمال وأساليب القول وضوابط وقوانين تحكم الاستعمال اللغوي الصحيح ويصححونه على وجهه.

مقالات ومناهج

وقد كان لهم في ذلك طرائق ومناهج، وكان لهم من ذلك مقالات ودراسات وكتب ومعجمات، وكان وراء ما كان من ذلك - وما يزال - حرص على اللغة العربية، وسعي إلى حفظها مما يشوبها، ورصد ما يطرأ عليها من صور